

إحياء علوم الدين

حركاتك في التعبير هو فعله الذي رتبته بالعدل ترتيباً تصدر منه الأفعال المعتدلة إلا أنك لا ترى إلا نفسك فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملوك فلذلك تضيفه إلى نفسك وإنما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلاً إلى لعب المشعبد الذي يخرج صوراً من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعده وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بأنفسها وإنما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورءوسها في يد المشعبد وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعده وأما العقلاء فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحريك ولكنهم ربما لا يعلمون كيف تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبد الذي الأمر إليه والجاذبة بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء يعلمون أنهم محركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا العارفون والعلماء والراسخون فإنهم أدركوا بحده أبصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أيضاً ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يعصوا إلا ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن وقيل وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل إليهم من القدر والأمر فقل خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الأمر بينهما فقال لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجتموني وفي لفظ آخر لقلت إنه كافر .

ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملاً في اتمام حكمة الله تعالى فأشكر العباد أحبهم إلى الله وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله الملائكة ولهم أيضاً ترتيب وما منهم إلا وله مقام معلوم وإعلاهم في رتبة القرب ملك اسمه اسرافيل عليه السلام وإنما علو درجتهم لأنهم في أنفسهم كرام برره وقد أصلح الله تعالى بهم الأنبياء

عليهم السلام وهم اشرف مخلوق على وجه الارض ويلى درجتهم درجة الأنبياء فانهم فى انفسهم
اخيار وقد هدى ا ب بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته وأعلاهم رتبة نبينا A وعليهم إذا أكمل
ا ب به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنهم فى انفسهم
صالحون وقد أصلح ا ب بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره
ثم يليهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل اجتماع
الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد A كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكمل ا ب به صلاح
دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء ثم يلى العلماء والسلاطين
الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط فلم تتم حكمة ا ب بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء
فهمج رعاع